الحاخامية Rabbinical conferences التي تتالت منذ منتصف القرن الماضي وبحثت في « كيفية التوفيق بين المعتقدات والممارسات الدينية من جهة ومتطلبات العصر الجديد الذي دخله اليهود من جهة ثانية » وأشهر هذه المؤتمرات مؤتمر برونشفيك (حزيران ١٨٤٤) الذي ادخل تعديلات عدة منها ما « يسمح لليهودي بالزواج من مسيحية او اي انسان من معتنقي الديانات التوحيدية ، فيما لو أتاح القانون المدني امام الابوين فرصة تنشئة اولادهما على الدين اليهودي » ، ومؤتمر فرانكفورت (١٨٤٥ ، تموز) الذي قرر « ازالة صلوات العودة الى ارض الاباء والاجداد واعادة تأسيس الدولة اليهودية ، من الطقوس الدينية اليهودية » .

وفي زمن سابق لهذه المؤتمرات ظهرت حركة « الهسكالا » (الاستنارة) . « وبدأت مع موسى مندلسون[١١] » (١٧٢٩ — ١٧٨٦) الذي ترجم التلمود الى الالمانية ليجعل تعلم العبرية ، وبالتالي التعلق بالتقاليد اليهودية ، غير ضروري . كما انه دعا الى اندماج اليهود في محيطهم الاوروبي وتخليهم عن اليهودية كمجموعة طقوس وعادات غريبة ، وحاول جعل الدين اليهودي دينا علمانيا لا تشوبه شوائب خرافية عن « شعب الله المختار » وما الى ذلك . كان هذا كله متماشيا مع روح العصر ، الذي كان يدعو الى المساواة وعدم التعصب الديني . وأهم اتباع مندلسون دافيد فريدلندر (١٧٥٦ — ١٨٣٤) رئيس حركة الاصلاح الديني الذي حاول ازالة العوامل العنصرية والقبلية من الدين اليهودي وجعله دينا انسانيا يسهل الاندماج، كما انه دعا الى اعتماد اللغة الالمانية في الصلاة بدلا من العبرية »[١٢].

ويتكلم ابراهام ليون[١٣] (وهو افضل الذين شرحوا وجهة النظر الماركسية في موضوع المسالة اليهودية) في الموضوع نفسه قائلا : « غير ان اليهودية الغربية دخلت بشكل عام ، وابتداء من القرن التاسع عشر ، في طريق الاستيعاب التام . ففي نهاية القرن الثامن عشر ، وخلال ثلاثين سنة ، تحول نصف يهود برلين الى المسيحية . اما الذين بقوا امناء للدين اليهودي ، فقد دفعوا عن انفسهم تهمة تشكيل أمة متميزة . وكان « ريسر » ، احد ممثلي اليهود الالمان ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، يقول : « دون وطن ودولة ولغة ، ليس ثمة من امة ، ولهذا فان اليهودية قد كفت ، منذ زمن طويل ، عن تشكيل أمة » . وكتب استاذ يهودي من برلين ، عام ١٨٧٩ قائلا : « نحن المان ، المان فقط فيما يختص بالقومية » .

ويعود ليون فيقدم احصاء عن النسبة المئوية للزيجات المختلطة بين اليهود وغير اليهود ، من مجموع الزيجات اليهودية :

برلين من ١٩٠١ الى ١٩٠٤ ٣٥ر٤٪
الى ١٩٠٥ ٤٤ر٤٪
همبورغ من ١٩٠٣ الى ١٩٠٥ ٤٩ر٥٪[١٤]

اذا ، ما من احد يدعي ان المسالة اليهودية كانت قد صفيت في اوروبا الغربية عامة وفي المانيا بشكل خاص . الا ان الفرق بين التصور المادي الجدلي الفعلي والتصور الصهيوني المتستر بشعارات ماركسية هو في ان التصور الاول يقول بأن الثورة البورجوازية وضعت المسالة اليهودية ، كمسالة اقلية دينية مضطهدة ، على طريق الحل . وخلقت الامكانية المادية لانهاء هذه المسالة في شكلها القديم ، عبر اندماج البروليتارية اليهودية مع بروليتارية بلدان اوروبة الغربية في النضال الاشتراكي . اما مزراحي ، فهو وان لاحظ اجراءات ١٨٤٧ التي قدمت « تنازلات » ديمقراطية عديدة فانه يصر على ان الطابع المعادي لليهود كان الغالب ، دون ان يأخذ بعين الاعتبار ، كاشتراكي مفترض ، ارهاصات المرحلة التاريخية المقبلة . (قد لا يلام مزراحي على تعاميه ، اذ انه يرى في اندماج اليهود مظهرا آخر من مظاهر اللاسامية . الحل الوحيد في رأيه هو الصهيونية) .

وبما ان الكاتب يعلم ان ماركس كتب « المسالة اليهودية » في فرنسا فانه ينتقل الى بحث وضع اليهود الفرنسيين ، مسجلا منذ البداية درجة تحررهم المتقدمة على يهود المانيا ، ويأخذ يهود الالزاس واللورين كمثل للدراسة . وهذه المنطقة تقع على الحدود بين المانيا وفرنسا وقد تبادلت الدولتان السيطرة عليها تبعا لانتصار كل منهما وتزايد نفوذه . لذا فهي لا تصح كنموذج للدراسة. وبالاضافة الى هذا الوضع السياسي المضطرب تتميز هذه المنطقة بتخلفها الاقتصادي — الاجتماعي عن بقية اجزاء فرنسا البورجوازية . « لقد عبرت السياسة النابوليونية عن ارادة المجتمع البورجوازي في استيعاب اليهود بشكل كامل ،